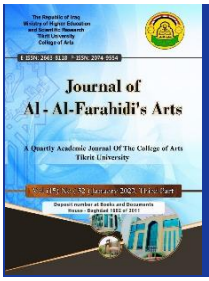

Tikrit University | جامعة تكريت

مجلة آداب الفراهيدي

Journal of Al-Farahidi's Arts

Color and Gray Poetry in Sharif Al-Murtada's Poetry

اللون والشيب في شعر الشريف المرتضى

[*] Asst. Lecturer. Shaimaa Sobhi Hussein

[1] Asst. Prof. Dr. Hamad Mohammed Fathi

[*] General Directorate of Nineveh Education, Ministry of Education

[1] Department of Arabic Language, College of Arts, University of Mosul

Nineveh, Iraq

(*) م. م. شيماء صبحي حسين

(1) أ. م. د. حمد محمد فتحي

(*) المديرية العامة لتربية نينوى، وزارة التربية

(1) قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الموصل

نينوى، العراق

SUBMISSION التقديم	ACCEPTED القبول	E-PUBLISHED النشر الإلكتروني
30/04/2023	29/05/2023	25/04/2024

P-ISSN: 2074-9554 | E-ISSN: 8118-2663 https://doi.org/10.25130/jaa.16.56.6 Vol (16) No (56) March (2024) P (67-76)

ABSTRACT

The study aims to highlight the direct and indirect effectiveness of color in the poetry of a prominent poet of the Abbasid era, and to show the extent of that effectiveness that was achieved in the poet's text and the aesthetic value that emerged from aesthetic frameworks that were achieved in the essence of the text in relative, multi-faceted degrees, whether at the level of the poet's self or at the level of The other, in a way that makes color and gray a prominent feature inherent in creating and displaying the crucible and icon of color, and then influencing the reader's attraction with the intentional and unintentional image by creating psychological effects on humans through the requirements and connotations of color, through positive and sometimes non-positive suggestions with a new, stimulating vision. And excitement.

KEYWORDS

Sharif Al-Murtada, Color, Gray, Poetry

الملخص

تهدف الدراسة الى ابراز فاعلية اللون المباشرة وغير المباشرة في شعر شاعر بارز من شعراء العصر العباسي، وإظهار مدى تلك الفاعلية التي تحققت في نص الشاعر والقيمة الجمالية التي انبثقت من أطر جمالية تحققت في ماهية النص بدرجات نسبية متعددة الجوانب سواء على مستوى الذات الشاعرة أم على مستوى الآخر، بشكل يجعل من اللون والشيب سمة بارزة متأصلة في إيجاد وإظهار بوتقة وايقونة اللون، ومن ثم التأثير في جذب القارئ بالصورة القصدية وغير القصدية من خلال احداث تأثيرات نفسية على الانسان عبر مقتضيات ودلالات اللون، عبر ايحاءات إيجابية وأحياناً غير إيجابية برؤية جديدة باعثة على التحفيز والإثارة.

الكلمات المفتاحية

الشريف المرتضى، اللون، الشيب، الشعر

Copyright and License: This is an Open-Access Article distributed under A Creative Commons Attribution 4.0 License, which allows free use, distribution, and reproduction in any medium provided the original work is properly cited.

اللون والشيب:

يعد الشيب حادثاً جللاً لم يستطع أكثر الشعراء العباسيين تقبله والاستسلام له. عندما غزا أعالي رؤوسهم، وإنما على العكس من ذلك، إذ نقموا عليه، وحقدوا عليه، وعدوه عدواً لدوداً، مدمراً لحياتهم ومنغصاً لعيشهم، فوجوده في حياتهم كان مرارة وخيبة أمل لهم، ولذلك أختلف التعبير عن ألفاظه من شاعرٍ إلى آخر كلٌ حسب موقفه منه، وتمرده عليه، فعلا" صياحهم وكثرت دموعهم، ومن ثم برزت الفاظهم الموحية للألم، التي شعروا بها بسببه، لذا كان تعبيرهم رمزياً في أحياناً كثيرة، فعبروا عن مشاعرهم بالكلمات المفردة الموحية [١].

إن "إحساس الشاعر المتأثر سلبياً بنزول ضيف الشيب في رأسه يطرح نفسه بقوة تجاه الأشياء، فيتعامل معه بدقة متناهية، بحيث تأتي اللفظة منسجمة مع ما يشعر به من الألم، فالكلمة قد تكسب قوتها من الشخصية التي استخدمتها [٢]. وهذا ما أكده (مالارميه)، في أن الشعر لا ينبغي أن يتشكل من كلمات، ولكن من أحاسيس وكل الكلمات تمحى أمام الأحاسيس" [٣]. في حين يرى غيره، إن المبدع الحاذق هو الذي يسخر امكانياته اللغوية ويتلاعب بتراكيبها مما يمنح نصه خصوصية شعرية يتميز عن غيره من النصوص [٤].

إن ظهور الشيب يعد إنصراماً للشباب وإحساساً بالفناء وإشارة إلى دنو الأجل واقترابه، وقد قيل: "الشيب بريد الموت" [٥]. فهو "موت مرتقب تستعد له ونتهيأ لاستقباله" [٦]. فالشعراء يبدون فزعهم منه وكراهيتهم بقدومه، فمنظره قذى في العين عندهم، تعافهُ النفس، وتعرض عنه الأنظار، فهو ضيفٌ غير مرغوب فيه، يحل لا مرحباً به، وقد بلغت كراهية الشعراء لمنظر الشيب بأن يفضل بعضهم بأنه يفضل أن يقطع راسهُ بالسيف على أن يخطه المشيب [٧].

إذا كان للون "القدرة على إحداث تأثيرات نفسية على الانسان إذ إن لديه القدرة على الكشف عن شخصية الانسان، وذلك، لأن كل لون من الألوان مرتبط بمفهومات معينة ويمتلك دلالات خاصة عن طريق اختبارات الألوان، يمكن تحليل الشخصية تحليلاً يتضمن تقويم القدرات وبيان الحالات العاطفية والفكرية وغيرها" [٨].

وقد ورد ذكر الشيب في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ [٩]. وقد ورد ذكر الشيب في السنة النبوية الشريفة، حيث قال الرسول محمد (ﷺ) "الشيب نور المؤمن، لا يشيب رجل شيبة في الإسلام إلا كانت له بكل شيبة حسنة، ورفع بها درجة" [١٠].

فالشيب يصير نفسه نوراً يهتدي به صاحبه، ويسعى بين يديه يوم القيامة، والشيب إن لم يكن من كسب العبد، لكنه إذا كان بسبب من نحو جهاد أو خوف من الله ينزل منزل سعيه [١١]، إذن دلالة الشيب قد تكون مختلفة منها ما هو إيجابي بما يوافق القرآن الكريم والسنة النبوية، ومنها ما هو سلبي بما أكده الشعراء ونفورهم منه.

لذلك إتخذ الشيب دلالات مختلفة كان لها الأثر في نفسية الشاعر (الشريف المرتضى)، وقد انعكست بدورها على أشعاره، فظهور الشيب نذير بإنقضاء عهد الشباب وزواله.

ويذكر الشاعر في قصيدته قائلاً[١٢]:

أماويُّ إن كان الشباب الذي انقضت	لياليهِ عنّي شابَ منك صَفاءَ
وما إن عهدنا زائلاً حان فقدُهُ	وإنْ كانَ مَوقوفاً أزالَ إخاءَ
فما الذنب لي في فاحمٍ [١٣] حالَ لونهُ	بياضاً، وقد حالَ الظلامُ ضِياءَ
ولو كان فيما يحدث الدَّهر حِيلةٌ	أَبَيْتُ على هذا المَشيب إباءَ

بدأ الشاعر كلامه مخاطباً محبوبته (ماويَ)، وهي رمز مستوحى من خياله. فالشاعر يستخدم خياله لغرض التجريد وانسجام الصورة وتجسيدها للتعبير عن حالته النفسية فيعتمد بذلك على الايحاء والحدث، لحل مشكلة الاقتصاد اللغوي" [١٤]. وهذا يعني "أن الشاعر حين يستخدم خياله لا يهرب من الحقيقة بل يلتمس الحقيقة من الخيال، فالخيال والواقع كلاهما وسيلة لنقل ذلك الصراع الداخلي الذي يعاني منه الفنان [١٥]. وفي

البيت الثاني بين الشاعر أن الوصال بينه وبين محبوبته انقطع، لوجود عارض نفسي وهو ظهور الشيب، حيث أعلن براءته من الذنب الذي حول شَعرَه من اللون الأسود إلى اللون الأبيض، غير الشاعر دلالة الشيب السلبية إلى ايجابية فاعطي صورة الشيب عندما رأى أنه حقيقة في حياة الإنسان عليه أن يتقبلها، فنلمح هنا قلب اللون إلى نقيضه يدل على غلبة اللون الأخير، وسيطرته وهيمنته، فالأسود يتضح من خلال مجاورته للون الأبيض، والقلب بين اللون ونقيضه يجعل اللون الأخير يحتل مكانة كبيرة، يدل على نفسية الشاعر التي يعبر عنها بهذا التحول لذلك نستطيع القول بأن اللون الأبيض هنا محل دلالة ايجابية أعطت روحاً عالية لدى الشاعر.

ويذكر الشاعر في قصيدته قائلاً [١٦]:

يا سقى الله ليلتي ليلة السَّبْـ ... ـتِ زُلالاً، لا بل سَقاها شراباً
ليلةُ قربتْ بعيدًا وأعطت ... مُتَمنَّى وأقدمَتْ غُيّابا
وأرْتَجعنا زماننا وكأنّا ... بعدَ شيبٍ منّا أرتجعنا الشْبابا

استخدم الشاعر اسلوب المناداة مستخدماً أداة النداء (يا)، في قصيدته، مستعيناً بأسلوب الدعاء في لفظ الجلالة (الله)، كون الدعاء من الله محبباً، لما يدل على صدق كلامه تجاه صاحبه الذي اتى لزيارته في تلك الليلة، إذ إنه خص يوم السبت في الدعاء ،لأن يوم السبت يمكن أن يكون معظماً لديه، وهذه الليلة عزيزة عليه، لأنها أتت بمن كان نائياً عنه، ومنحته أمنيته بقدومه إليه، ومجالسته، ومداولة أطراف الحديث مستعيداً ذكريات الماضي، وأيام الشباب التي عاشوها، بعد حلول الشيب، وقد عبر الشاعر عن حالته النفسية من خلال توظيفه للون مستخدماً لفظة الليل التي تدل على (السواد)، الذي يرمز للحيوية والنظارة، وكلمة الشيب التي تدل على (البياض)، وهي الموت والخوف والقهر والضعف والاستسلام، ويعد هذا انزياحاً أو تحولاً عن دلالة اللون فيتضح من هذه الأبيات وجود التضاد اللوني بين الأبيض والأسود، "فالتضاد اللوني وظيفة مهمة في تشكيل الصورة الشعرية على الرغم من جمعها بين النقيضتين وفي الحقيقة بين أصل دلالي واحد، فقد يكون الأبيض والأسود مختلفين في الإحساس بهما، متضادين داخل الصورة لكن في الحقيقة تجمعهما دلالة واحدة هي الدلالة اللونية" [١٧]. جاعلاً من ذلك التضاد بوتقة وايقونة جمالية لفاعلية اللونين إذا اجتمعا في ذات اللحظة الشعورية ذاتها، مع الانسجام والتناسق الذي حدد في جوانب النص الشعري من خلال فاعلية اللون المتحققة.

ويذكر الشاعر في قصيدته عن الشيب قائلاً: [١٨]

مَن عَذيري مِن سَقامٍ ... لَم أَجِدْ مِنهُ طبيبا؟
وَهُمومٍ كأُوارِ[١٩] النـ ... ـارِ يسكنّ القُلوبا
وَكروبٍ لَيتَهنَّ الـ ... ـيَومَ أَشبهْنَ الكُروبا
وَخطوبٍ مُعضلاتٍ ... بِتْنَ يُنسين الخُطوبا
شيّبتْ منّيَ فَودَي [٢٠] ... يَ ولم آتِ المشيبا
وَرَمتْ في غصنِيَ اليَبْـ ... ـسَ وَقَد كانَ رَطيبا

بدأ الشاعر كلامه بأداة من أدوات الاستفهام (من)، والتي تدل على السؤال عن من يعذره من داءٍ إذا لم يجد الطبيب له الدواء، وفي البيت الثاني استخدم الشاعر اداة التشبيه (الكاف)، مشبهاً همومه بالنار الملتهبة وهي دلالة على الألم والحزن الشديد الذي لا يمكن رؤيته، وفي البيت الثالث ذكر الشاعر الأحزان (الكروب)، التي يمكن وصفها أعلى درجات الحزن لما لها من تأثير في نفسية الانسان في الحاضر والمستقبل، وفي البيت الرابع وضح الشاعر أن المصائب معقدة لدرجة أن كل مصيبة تمر به يرى أنها أشد من سابقتها، وفي البيت الخامس يذكر الشاعر أن تلك المصائب والهموم أشابت شعره قبل أن يحين أوان الشيب، وفي البيت السادس، يذكر الشاعر أن هذه الهموم أيبست ما كان أخضر من أعضائه الفتية، فاللون الأخضر الذي دلت عليه كلمة (الرطيب)، التي تدل على "الشباب الذي يوحي به الغصن الرطب" [٢١] أي أنه بعد أن كانت روحه مليئة

بالفرح والشباب فحولت من كثرة الهموم والأحزان إلى الوهن والنحول، ذاكراً معاناته وقهره وتحمله قسوة الحياة ومرارتها، برزت الصورة اللونية من خلال الشيب الذي يدل على الموت ودنو الأجل وانقضاء العمر، كما برز اللون الأخضر بمعناه الضمني، الذي يدل على "السلام والطفولة والحياة والتجدد والانتشاق الروحي والربيع والخصب والنماء" [٢٢] إذ قارن الشاعر بين لونين أبيض حزين، وأخضر سعادة، فالأبيض أصبح حالة سلبية بينما الأخضر حالة إيجابية.

ويذكر الشاعر في قصيدته قائلاً: [٢٣]

نصيبي منكِ اليوم هجرٌ وبغضةٌ ... ومالكِ إلا في الوداد نصيب
وقلبكِ من حبي صحيحٌ مسلمٌ ... وقلبي فيه من هواكِ ندوبُ[٢٤]
ورابك مني - قبل أن تتبيَّني ... بان ليس لي أمرَّ عليه . مشيب
وعاقبني ظُلمًا وكم من معاقبٍ ... وليس له عند الحسان ذنوبُ

يتحدث الشاعر في البيت الأول من قصيدته عن محبوبته التي هجرته وأنه لم ينل منها إلا البغض والهجران، في حين أنه يكمن في قلبه لها المودة والحب، وأن قلبه قد أمتلأ بالجراح بسبب هذا الحب، لأنها وقعت في الشك لحبه لها، بسبب الشيب الذي اعتلى رأسه من غير أن تتبين عدم تأثيره عليه أي أنه مازال يمتلك قلباً سليماً وروحاً شابه، وفي البيت الثاني والثالث والرابع برز اللون الأبيض بدلالته السلبية في شعره ليقر أن هذا ما تكرهه المرأة وترفضه لأنه سلب للقوة والنظارة، فكان الفراق بينهما، ويذكر الشاعر أن الشيب ليس ذنباً محاولاً كسب ود المحبوبة وإعادة وصلها، كما يحاول إخفاء الدلالة السلبية للشيب، فهو بذلك محاولة إعطاء مبرر للشيب بلونه الأبيض أي ليس بإرادته ومدافعاً عن ذلك بكل عزيمة وإصرار، من أجل إعطاء دلالة للون الأبيض سمة وعلامة على الهيئة والرزانة.

ويقول الشاعر في قصيدته قائلا: [٢٥]

هانَ في مقلتي الذي راق فيهِ ... فكأن الشباب فيه مشيب
سدلتْ [٢٦] خبرتي سُجوفَ ابتسامي ... قلما يُعجب العجيب عجيبُ
وكَفتني تجاربي نائباتٍ ... ما أُبالي في أي حينٍ تنوبُ

بدأ الشاعر كلامه مستخدماً اسلوبا" تصويرياً بصريا للتعبير عن حالته النفسية، فقد صور الشاعر في البيت الأول، أنه قلل من احترامه ووده للذي خذله ولم يكن موضع ثقة، وجاءت اللوحة منتزعة من الواقع الذي مرَّ به، إذ مزج الشاعر بين الصفات المعنوية ، فقد جعل من الشيب الذي يدل على الكبر والموت تعبيراً من الشيء الذي لا يمكن الرجوع عنه، وفي البيت الثاني، غطت خبرته ملامحه حتى ابتسامته لم تظهر، وفي البيت الثالث بدأ الشاعر بإضفاء صفة الخبرة من تجاربه في حياته مصوراً أن كثرة التجارب التي مرت به يمكن أن تكون كفيلة بمنحه الخبرة في التعامل مع تلك المواقف، وأنه لم يعد يهتم لهذا الأمر، كونه يستطيع تجاوزها، فجاءت اللوحة اللونية في إختيار لون الشيب تعبيراً عن دافع نفسي، حاول من خلاله الشاعر إعطاء الدلالة السلبية لهذا اللون وهو الخوف من الموت وانقضاء الأجل، بذلك استطاع الشاعر الشريف المرتضى أن يعطي ويحمل اللون بمعانٍ نفسية في ذاته، إذ عبر عن الأحاسيس وخلجاته المتعلقة بالزمن عن طريق استحضار للونين وهما الشباب الذي يعني السواد والشيب الذي يعني البياض، وهذا ما يعزز دور السياق النصي عبر الألفاظ التي تمخضت في ثنايا النص الشعري وصولاً إلى التأثير في نفس المتلقي بصورة مباشرة وغير مباشرة.

ونجده في لوحة أخرى قائلا [٢٧]:

وواهًا لأيامك الماضياتِ ... مُضميَّ السحابةِ عن مُجدبِ
فما بنتَ إلاّ كبينِ الحياة ... وشرخ الشباب عن الأشيب
ولا خير بعد في الطيبات ... فما العيشُ بعدك بالطيبِ

يصور الشاعر في قصيدته صورة فنية تظهر صفة الحنين إلى الزمن بأيام الصبا والشباب، وهذا اللون الأسود قمة الجذب ولفت الأنظار، حيث يظهر الأسف والحزن والحسرة على الأيام الخوالي التي مضت مستخدماً أسلوب التشبيه الضمني، وهو تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة، بل يلمحان في التركيب" [٢٨]، إذ يصور تلك الأيام بالسحابة التي تمر على الأرض المقفرة، وأنه لا يهنأ بالعيش عند فقدانه الاحبة، فاللوحة اللونية للشيب تحمل معاناة وقهراً وحسرة بسبب الشيخوخة والهرم، فدلالة الشيب تعبر عن الحالة النفسية للشاعر، من خلال تخوفه من اقتراب الأجل، فإذا نزل الشيب ذهبت اللذات ودنت أوقات الممات" [٢٩]، فالبعد الزمني النفسي الذي يصوره الشاعر مرتبط في الحقيقة بالشخصية لا بالزمن إذ إن الذات محل الصدارة، فقد الزمن معناه الموضوعي وأصبح منسوجاً في خيوط الحياة النفسية" [٣٠]، فقد استطاع الشاعر أن يوظف اللونين توظيفاً دلالياً ايحائياً معبراً عن الشباب والشيب فهو تعبير عن إحساس وجودي لمعنى اللون المقصود.

ويسترسل الشاعر في قصيدته قائلاً [٣١]:

لا تخش مني أن أنقَّبُ عن هوى الـ	ـبيضِ الأوانس والمشيب نقابي
بلغَ المشيبُ مأربا ومآربا	منِّي ولم أبلغْ به آرابي
ورجوتُ منه شِفاء داءٍ كامنٍ	فازددتُه وَصَبَّاً الى أوصابي
قد كان شافعي الشباب إلى الدمى	والشيب بعد فراقه أغرى بي

بدأ الشاعر كلامه بـ (لا) الناهية لمخاطبيه بعدم التعجب منه في بحثه عن الجمال (البيض الأوانس)، دلالة عن النساء الجميلات وهو وصف حسي ومعنوي فالجانب الحسي في كلمة الأبيض والمعنوي في كلمة الأوانس.

وفي البيت الثاني يذكر الشاعر أن الشيب تمكن منه ولم يبلغ حاجاته الملحة مستمداً قوله من الآية الكريمة: ﴿ وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴾ [٣٢]، فنلمح تكرار كلمة (مآربَ مآرب) مما يضفي على النص بعداً إيحائياً من خلال "تناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير، إذ يشكل نغماً موسيقياً ذا تأثير معنوي" [٣٣]، وفي البيت الثالث طلب من الشيب أن يشفيه من أوجاعه لكنه زاد منها، أي صبا كانه عاشق ليزيد من آلامه وأمراضه ومنعه من أن يروض حاجته للبيض، وفي البيت الرابع، رأى الشاعر أن الشباب هو الذي يقربه من النساء، وأداة الوصول إلى قلوبهنَّ في هذه الحالة أجرى موازنة ما بين حالة الايجاب اللون الأسود، وحالة السلب اللون الأبيض، لأن الاسود جسد الشباب والأبيض جسد الشيب وإعلان الشيخوخة، وأفول الحياة، وما يحمله هذا اللون من تشبع بالحالة النفسية المؤثرة في كيان الشاعر المسكون بها.

ويطالعنا في لوحة قائمة على اللون بشكل غير مباشر بسلب الدلالة الإيحائية للون ولا سيما التي تتعلق أيضاً بالشيب إذ يقول [٣٤]:

ولقد غمرت مراسلاً من قبلهِ	فأعاد لي رُسُلي بغير جوابِ
لا ذنب عندي منه إلا أنهُ	كان السفير لفرقة الأحباب
ولقد عنيتُ على التي صرمتُ وقد	وصل المشيب وما أفاد عتابي
يا جمل كيف نزعت حبلك من يدي	لما نزعت من الصبا أثوابي

يصور الشاعر مشهداً صورياً، عما كان يدور بخاطره، إذ إنه كان يرسل رسائله إلى حبيبته، في الزمن الماضي عندما كان شاباً، إلى أن أصبح مشيباً، ولكن هذه الرسائل لم يكن لها جواب طوال هذه المدة، وفي هذه القصيدة دلالة على وجود رابط معنوي بين اللون والزمن، إذ إن المدة التي قضاها في إرسال رسائله إلى محبوبته تعبر عن عمره الذي انقضى، واللون الذي أصبح شعره عليه، يعبر على الحالة التي هو عليها، لأن إحساس الشاعر بالزمن وتعامله معه يؤثر في حالته النفسية، ويذكر الشاعر العتاب لمحبوبته بكونها قطع الوصال نتيجة لحلول الشيب في رأسه، فاللون غير المباشر (المشيب)، حملَ دلالتهُ السلبية في منطق انسجم مع السياق النصي للأبيات الشعرية ومن ثم التأثير بشكل واضح كي يجعل من سياقه الشعري صورة مؤثرة بشكل أو بآخر.

في حين نجد الشاعر في لوحة أخرى يقول [٣٥]:

أهـــلاً بطيـــف خيـــالِ مانعـــة الحبـــا يقظـــي ومفضـــلة علينـــا فـــي الكـــرى
مـــا كـــان أنغمنـــا بهـــا مـــن زورةٍ لـــو باعـــدتْ وقـــت الـــورودِ المصـــدرا!
جزعـــت لـــو خُطـــات المشـــيب و إنمـــا بـــالغ الشـــبابُ مـــدى الكمـــال فنـــوَّرا
والشـــيبُ إن فكـــرتَ فيـــه مـــوردٌ لا بـــدَّ يـــوردهُ الفتـــى إن عُمِّـــرا
يبـــيض بعـــد ســـواده الشـــعر الـــذي لـــو لـــم يـــزرهُ الشـــيبُ واراهُ الثـــرى

يبث الشاعر صورة معنوية من خلال وصفه لزيارة طيف محبوبته في اليقظة، وأنه فضل لو أن طيفها جاءه في المنام، وأن هذا الوصف ربط اللون بالزمن، وذلك من خلال حديث الشاعر عن زيارة طيف محبوبته في النهار وأنه تمنى أن يكون في الليل، إذ إن الليل يستر والنهار يفضح ويذكر الشاعر أن محبوبته كان لها ردة فعل تجاهه، وذلك لرؤيتها لشعره المغطى باللون الأبيض، ففسر لها الشاعر أن هذا اللون الأبيض الذي رأته على رأسه والذي يسمى الشيب ما هو إلا علامة تدل على كمال الانسان، وأن هذه العلامة لابد أن يدركها المرء مهما طال الزمن، إلا في حالة أن يحول بينه الموت فاللوحة اللونية تبين وظيفة نفسية للحالة التي كان عليها الشاعر، فتكرار الشاعر للفظة الشيب "لتأكيد المعنى المراد ايصاله للمتلقي وأهمية بيان حالته" [٣٦]، لأن التكرار من سمات التوكيد والأهمية لمدى التأثير في نفس المتلقي وكما نلحظ على النص وجود التضاد اللوني كما في قوله (بيض بعد سواده)، هذا التحول في اللون من الأسود إلى الأبيض "ناتج عن تحول أرق وجدان الشاعر وغرس في نفسه الخوف من المستقبل المجهول" [٣٧]، وهذا التحول هو نوع من أنواع التضاد القائم على اللون بالدرجة الأساس.

ويطالعنا الشاعر الشريف المرتضى في سياق صورة كنائية تستمد من حقيقة واقعية ولاسيما في وصفه للشيب أيضا إذ يقول [٣٨]:

قالـــت: مشـــيبكَ فجـــرٌوالشـــباب إذا زُرنـــاك ظلمـــةُ ليـــل فيـــه مســـتترٌ
فقلـت : مـن كـان هجـري الـدهرعادتُـه مـــا إن لـــه بيـــاض الشـــيب مُعتـــذرٌ
لا تُســـخطيه فهـــذا الشـــيب مظهـــرةٌ علـــى عيـــوب بضـــدَّ الشـــيب تُســـتتر
تـــرعْين منَّـي وضـــوءُ الشـــيب يفضـــحني مـــازاغ عنـــه - ورأســـي أســـودُ – البصـــرُ

يصور الشاعر في قصيدته مشهداً صورياً عما دار بينه وبين محبوبته، إذ إنها وصفته بأن علامات الكبر قد بدت واضحة من خلال الشيب الذي اعتلى رأسه، وبينت ذلك من خلال مقارنتها بالماضي، وما الذي كان هو عليه أيام الشباب مشبهة إياها كظلمة الليل، وفي البيت الثاني، يجيب الشاعر محبوبته بما وصفته من أوصاف، مجاوباً اياها بأن الحاله التي هو عليها الآن هي بسببها، وذلك لكونها هجرته واتخذت من المشيب عذراً لها لتبرر موقفها تجاهه، وفي البيت الثالث يبدأ الشاعر كلامه مستخدماً اداة نهي وهي (لا) ،الناهية معاتباً محبوبته كونها سخطت من الشيب الذي اعتلى رأسه، مصوراً اياه بأنه يستتر به كونه يغطي على كثير من العيوب، وفي البيت الرابع يمتعض الشاعر من محبوبته، قائلاً لها ألم تري فقط الشيب الذي بان علي كضوء الشمس في الكبر ، ولم تري السواد الذي كان علي في الماضي، فاللوحة اللونية في هذه الأبيات تظهر من خلال تكرار الشاعر للفظة الشيب، وذلك لأن التكرار يولد التوكيد" [٣٩] أي تأكيد الحالة النفسية للشاعر، وهذه اللوحة لا تختلف كثيراً عمَّا هو مذكور آنفاً في نصوص الأبيات التي ذكرها الشاعر، إن دل ذلك على شيء إنما يدل على مدى تأثر الشاعر بالشيب الذي آلمه نفسياً لذلك كثر ذكره للشيب بصورة واضحة في شعره.

ثم ينتقل الشاعر ليوظف أيضاً اللونين الأبيض والأسود ولا سيما في مدى تأثير في لفظة (الشيب والشباب) وصفاً دقيقاً إذ يقول [٤٠]:

أمنـــت علـــى القلـــب خوانـــةٌ تطيـــعُ جهـــارًا وتعصـــي ســـرارا
أقـــادُ اليهـــا علـــى ضـــنها ولـــولا الهـــوى لملكـــت الخيـــارا

وقـــالوا وقـــد بـــدلت حادثـــات	زمـــاني ليـــلَ مشـــيبي نهـــاا
أتـــاه المشـــيب بـــذاك الوقـــار	فقلـــت لهـــم مـــا أردتُ الوقـــارا
فيـــا ليـــت دهـــراً عـــارَ السّـــوا	دَ إذ كـــان يرجعـــه مـــا أعـــارا
وليـــت بياضـــاً اراد الرّحيـــلَ	عُقيـــب الزيـــارة مـــا كـــان زارا

يبدأ الشاعر كلامه عما أخفاه قلب محبوبته تجاهه من حب، وأنها تظهر له المودة عندما تراه، وعندما يغيب عنها فإنها ترفضه لشيء في نفسها، وفي البيت الثاني، يظهر الشاعر حبه لها على الرغم من بخلها لحبها له، وأنه لو سنحت له الفرصة لتركها، وفي البيت الثالث، يبين الشاعر أن المصائب التي اتته قد غيرت شعره الأسود إلى أبيض وفي البيت الرابع، يصف الشاعر حالة الشيب التي عليها بأنها قد جعلت له إحتراما بين الناس مع أنه كان يتمنى أن لا يشيب شعره ولا يكبر كون هذا الشيب قد يبعد محبوبته عنه، فالفاعلية اللونية توحي أن للشيب معنى ايجابياً إذ يرمز اللون الأبيض للصفاء والنقاء والعفة" [٤١] وهذا دلالة على الوقار والحشمة والاحترام، وبالرغم من ذلك فإن الشاعر يرفض ذلك، لأن الشيب يشعره بالضعف والوهن والاستسلام للموت، كما جسد الشاعر الشيب حيث جعله زائراً له أي حاول الشاعر أن يسقط على اللون صفات الكائن الحي الذي يحس" [٤٢] نلاحظ هنا أن الفاعلية اللونية تؤدي وظيفة نفسية واعية من خلال ما رأينا في مفهوم الأبيات التي كان فيها اللون علامة بارزة ومميزة في وصف حالة الشيب وهذا ما يطلق عليه بالكناية اللونية غير المباشرة في ثنايا النص الشعري.

الخاتمة:

١. بينت الدراسة أن اللون فيه تأثير نفسي على الانسان ولا سيما في الشعر لأن كل لون من الألوان مرتبط بمفهومات معينة ويمتلك دلالات خاصة عن طريق اختبارات الألوان ولا سيما إذا ارتبط بالشيب.

٢. أوضحت الدراسة أن للشيب احياناً معنىً إيجابياً إذ يرمز اللون الأبيض غير المباشر للصفاء والنقاء والعفة وهي دلالة على الوقار والحشمة والاحترام.

٣. أظهرت الدراسة بان الشاعر جسد الشيب حيث جعله زائراً له رأي أي حاول ان يسقط على اللون صفات الكائن الحي الذي يمسي به.

٤. ابرزت الدراسة أن فاعلية اللون في الشيب أدت وظيفة نفسية واعية من خلال الأبيات الشعرية الواردة في متن الدراسة التي كان فيها اللون علامة بارزة ومميزة في وصف حالة الشيب وهذا أطلق عليه كناية اللون غير المباشرة في النص الشعري.

الهوامش:

(١) ينظر: ايحاء الكلمات في الشعر العباسي دراسة تأويلية في قصيدة الأختيار ورمزية التعبير، كمال عبد الفتاح السامرائي، وثائر سمير حسن الشمري مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية مجلد ٤، ع ٢، (د. ت) / ١٤٣.

(٢) المصدر نفسه/١٤٤.

(٣) اللغة العليا، النظرية الشعرية، جون كوين، ترجمة وتقديم وتعليق أحمد درويش، ط ٢، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، القاهرة، ٢٠٠٠م/١٥٢.

(٤) ينظر: ايحاء الكلمات في الشعر العباسي/١٤٦.

(٥) اللطائف والظرائف أبو نصر المقدسي، (د. ط)، المطبعة الوهيبية، مصر، ١٨٧٨م/ ١٠١.

(٦) مشكلة الحياة زكريا إبراهيم، (د.ط)، مضر للطباعة، (د. ت) ١٥٩.

(٧) ينظر: قضية الزمن في الشعر العربي الشباب والمشيب، فاطمة محجوب، (د، ط)، دار المعرف، القاهرة، (د. ت) ٤٤-٤٥.

(٨) فلسفة الألوان/ ١٦٥.

(٩) سورة مريم، الآية: ٤.

(١٠) الجامع الكبير (المعروف بسنن الترمذي)، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الترمذي، (ت ٢٧٩)، تحقيق عصام موسى هادي، دار الصديق، ط ١، المملكة العربية السعودية، ٢٠١٢م، رقم الحديث ٢٨٢١/ ٨٣٩.

(١١) نور الشيب وحكم تغيير في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن علي بن وهب القحطاني، (د.ت)، (د. ط) ٧.

(١٢) ديوان الشريف المرتضى، مج ١/٢٣-٢٤.

(١٣) الفاحم: من كل شي: الأسود، لسان العرب، ج٥/ ٣٣٩٥.

(١٤) الصورة الشعرية والرمز اللوني/ ٢٧.

(١٥) التفسير النفسي للأدب، عز الدين إسماعيل/ ٤٤.

(١٦) ديوان الشريف المرتضى، مج ١/ ٥٢-٥٣.

(١٧) جمالية اللون ودلالته في الشعر العربي المعاصر قراءة في ديوان بدر شاكر السياب، سويوزف فريدة، أطروحة دكتوراه، جامعة جيلالي ليابس - سيدي بالعباس، كلية الآداب للغات والفنون، ٢٠١٧م - ١٤٣٨هـ/ ٩٩.

(١٨) ديوان الشريف المرتضى مع ١ / ٥٧.

(١٩) آوار: لفح النار ووهجها، لسان العرب، ج١/ ١٦٩.

(٢٠) الفود: فود الرأس جانباه، لسان العرب، ج٣/ ٣٤٠.

(٢١) اللغة واللون، أحمد عمر مختار، ط ١ عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٢م/ ٢١٠.

(٢٢) اللون لعبة سينمائية/ ٩١.

(٢٣) ديوان الشريف المرتضى، مج١/ ٧٩.

(٢٤) الندوب: ندب الميت، بكى عليه وعدد محاسنه، يندبه ندباً، لسان العرب، ج٦/ ٤٣٨٠.

(٢٥) ديوان الشريف المرتضى، مج١/ ٩٣.

(٢٦) سدلت الستر، لسان العرب، ج٣/ ١٩٧٦.

(٢٧) ديوان الشريف المرتضى، مج١/ ١٣٣.

(٢٨) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد احمد الهاشمي، (د. ط)، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د. ت) ٢٤٢.

(٢٩) اللغة واللون/ ٢٠٨.

(٣٠) عناصر القصة في الشعر العباسي، منتصر عبد القادر رفيق الغضنفري، أطروحة دكتوراه، جامعة الموصل، كلية الآداب، ١٩٩٣م - ١٤١٣هـ/ ١٢٥.

(٣١) ديوان الشريف المرتضى، مج١/ ١٥٦.

(٣٢) سورة طه، الاية/ ١٨.

(٣٣) القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الايقاعية (حساسية الانبثاقية الشعرية الأولى جيل الرواد والستينات)، محمد صابر عبيد، (د.ط)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ٢٠٠٠م/١٩١.

(٣٤) ديوان الشريف المرتضى، مج ١ / ١٥٦.

(٣٥) ديوان الشريف المرتضى، مج ٢/ ٤.

(٣٦) اللون ودلالته في الشعر/ ٧٧.

(٣٧) المصدر نفسه/١١٦.

(٣٨) ديوان الشريف المرتضى، مج ٢/ ٧٨.

(٣٩) الشعر الجاهلي في ضوء الدرس اللغوي الاسلوبي، الحديث قرأة في شعر زهير ابن أبي سلمى، عبد الكريم الرحيوي، ط١، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠١٥م - ١٤٣٦هـ/ ١٦٥.

(٤٠) ديوان الشريف المرتضى، مج٢/ ٩.

(٤١) فلسفة الألوان/ ٩٤.

(٤٢) اللون ودلالته في الشعر / ٧٩.

المصادر والمراجع:

ايحاء الكلمات في الشعر العباسي، دراسة تأويلية في قصيدة الاختيار ورمزية التعبير، د. كمال عبد الفتاح السامرائي، ثائر سمير حسن الشمري، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مجلد ٤، ع٢، (د.ت).

التفسير النفسي للأدب، عز الدين إسماعيل، دار العودة، بيروت – لبنان، ١٩٨٨م.

الجامع الكبير المعروف بسنن الترمذي، محمد بن عيسى بن موسى بن الضحاك الترمذي، ٢٧٩هـ، تحقيق: عصام موسى هادي، دار الصديق، ط١، المملكة العربية السعودية، ٢٠١٢م.

جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد احمد الهاشمي، د.ط، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د.ت.

ديوان الشريف المرتضى، شرح محمد التونجي، مج٢، دار الجيل، بيروت- لبنان، ١٩٩٧م.

الشعر الجاهلي في ضوء الدرس اللغوي الاسلوبي الحديث، قراءة في شعر زهير بن ابي سلمى، عبد الكريم الرحيوي، ط١، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠١٥م، ١٤٣٦هـ

الصورة الشعرية والرمز اللوني، يوسف حسن نوفل، ط١، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

عناصر القصة في الشعر العباسي، منتصر الغضنفري، أطروحة دكتوراه، جامعة الموصل، كلية الآداب، ١٩٩٣م.

فلسفة الألوان، اياد محمد صقر، ط١، الاهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠١٠م.

القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الايقاعية (حساسية الانبثاقية الشعرية الأولى جيل الرواد والستينات، أ.د. محمد صابر عبيد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ٢٠٠٠م.

قضية الزمن في الشعر العربي الشباب والمشيب، فاطمة محجوب، د. ط، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم، بيروت، لبنان، (د.ت).

اللطائف والظرائف، أبو نصر المقدسي، مطبعة الوهيبية، القاهرة، ١٨٨٧م.

اللغة العليا، النظرية الشعرية، جون كوين، ترجمة وتقديم وتعليف احمد درويش، ط٢، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، القاهرة، ٢٠٠٠م.

اللغة واللون، احمد مختار عمر، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٢م.

اللون لعبة سيميائية، فاتن عبد الجبار جواد، ط١، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ٢٠٠٩م.

اللون ودلالته في الشعر الأردني نموذجاً، ظاهر محمد هزاع الزواهرة، ط، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٨م.

مشكلة الحياة، زكريا إبراهيم، دار مصر للطباعة، (د. ت).

نور الشيب وحكم تغيير في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن علي بن وهب القحطاني، د. ط، د.ت.

Resources and References:

Inspiration of words in Abbasid poetry, an interpretive study in the poem of choice and the symbolism of expression, Dr. Kamal Abdel Fattah Al-Samarrai, Thaer Samir Hassan Al-Shammari, Journal of the Babylon Center for Humanitarian Studies, Volume 4, No. 2, (D.T.).

Psychological Interpretation of Literature, Izz al-Din Ismail, Dar al-Awda, Beirut - Lebanon, 1988 AD.

Al-Jami' Al-Kabir known as Sunan Al-Tirmidhi, Muhammad bin Isa bin Musa bin Al-Dahhak Al-Tirmidhi, 279 AHS, edited by: Issam Musa Hadi, Dar Al-Siddiq, 1st edition, Kingdom of Saudi Arabia, 2012 AD.

Jawahir Al-Balagha fi Al-Ma'ani, Al-Bayan and Al-Badi', Al-Sayyid Ahmad Al-Hashemi, D. T., Al-Matbakah Al-Asriyya, Sidon, Beirut, D. T.

Diwan Al-Sharif Al-Murtada, Sharh Muhammad Al-Tunji, Volume 2, Dar Al-Jeel, Beirut - Lebanon, 1997 AD.

Pre-Islamic poetry in light of the modern stylistic linguistic lesson, a reading of the poetry of Zuhair bin Abi Salma, Abdul Karim Al-Rahiwi, 1st edition, Dar Treasures of Knowledge for Publishing and Distribution, Amman, Jordan, 2015 AD, 1436 AH.

The poetic image and the color symbol, Youssef Hassan Nofal, 1st edition, Dar Al-Maaref, Cairo, D.T.

Elements of Story in Abbasid Poetry, Montaser Al-Ghazanfari, PhD thesis, University of Mosul, College of Arts, 1993 AD.

The Philosophy of Colors, Iyad Muhammad Saqr, 1st edition, Al-Ahliyya Publishing and Distribution, Amman, Jordan, 2010 AD.

The modern Arabic poem between the semantic structure and the rhythmic structure (the sensitivity of the first poetic emergence, the generation of pioneers and the sixties), Prof. Dr. Muhammad Saber Obaid, Arab Writers Union, Damascus, Syria, 2000 AD.

The issue of time in Arabic poetry, The Young and the Old, Fatima Mahjoub, Dr. Edition, Dar Al-Maaref, Cairo, (ed.).

Lisan al-Arab, Ibn Manzur, Abu al-Fadl, Jamal al-Din Muhammad bin Makram, Beirut, Lebanon, (d.).

Al-Latif wa Al-Daraif, Abu Nasr Al-Maqdisi, Al-Wahibi Press, Cairo, 1887 AD.

The Higher Language, Poetic Theory, John Quinn, translated, presented and annotated by Ahmed Darwish, 2nd edition, Supreme Council of Culture, Egypt, Cairo, 2000 AD.

Language and Color, Ahmed Mukhtar Omar, 1st edition, World of Books, Cairo, 1982 AD.

Color is a semiotic game, Faten Abdul-Jabbar Jawad, 1st edition, Majdalawi Publishing and Distribution House, Amman - Jordan, 2009 AD.

Color and its significance in Jordanian poetry as an example, Zahir Muhammad Hazza Al-Zawahra, ed., Dar Al-Hamid for Publishing and Distribution, Amman, Jordan, 2008 AD.

The Problem of Life, Zakaria Ibrahim, Misr Printing House, (ed.).

The light of gray hair and the ruling on change in the light of the Qur'an and Sunnah, Saeed bin Ali bin Wahab Al-Qahtani, Dr. I, D.T.